

وجهاً لوجه في قلب الصحراء . . .

« وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض
جميعاً منه ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون »
صدق الله العظيم

كانوا أشبه بفريق من الرحالة الرواد ، نزحوا من العالم الجديد في بداية الثلث الثاني من هذا القرن العشرين ، ونصبوا خيامهم بين جبال النهدين والظهران على حافة الربع الخالي ، حيث لا ظل ولا ماء ، بل المهمة القفر تمتد عن يمين وشمال ، ومن الأمام والخلف ، ماحلاً موحشاً رهيباً ، تتلوى خيوط الرمال على أديمه كأنها الثعابين ، وتعوى الريح على أعالي قممها وكتبانها ، فتجاوبها من السفوح والقيعان أصدااء كأنها عزيز الجان ، فهي كما وصفها « ذوالرمة » من وراء نحو ألف وثلاثمائة سنة :
ورملٍ لعزفِ الجنِّ في عقدايه هريزٍ كتصّرابِ المغنينِ بالطبلِ
نصبوا خيامهم هناك منبذين بالعراء ، حيث الضوء الساطع من شمس الظهيرة يعشى الأبصار ، والظلمة الخالكة في الليل البيهم تخلع الأفئدة . قد هجروا الأهل والولد ، وتركوا الحياة الناعمة المترفة في أمريكا وراء ظهورهم ، عسى أن يكشفوا عن ينابيع للبترول قد تكون مطمورة تحت أديم بقعة من هذه الفلاة الموحشة .
قبلهم ، كان رواد آخرون قد سبقوهم إلى هناك ، في شتاء سنة ١٩٣٠ ، ونقبوا عن الزيت في الشمال الغربي من نجد ، ثم مضوا يائسين من الصحراء ، بعد أن أذابوا في رمالها الملتهبة أكداساً من المال مختلطة بالعرق من جهد ضائع .
فجاء هؤلاء على أثرهم يستأنفون المحاولة ، بأمل جديد . وكانت منطقة الأحساء ، شرقي نجد والدهناء ، وجهتهم هذه المرة . فشقوا إليها ما يقرب من ألف ميل عبر الصحراء القاحلة ، موقدين من شركة « ستاندرد أوبل » في كاليفورنيا ، وهي الشركة الوحيدة التي قبلت الدخول في هذه المغامرة وتمويلها ، سعياً وراء كثر مجهول المكان ، مشكوك في وجوده وقيمته .